يوم عاشوراء..

في اللغة والتأريخ والحديث

الشيخ محمد هادي اليوسفي

وردنا سؤال من الجزائر حول الأساس الذي بنىٰ عليه بعض المسلمين اعتقادهم بصيام عاشوراء «يوم مقتل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه الكرام» والإحتفال به كأحد أعياد المسلمين؟ في الوقت الذي يحزن فيه شطر عظيم من المسلمين، لا سيّما من أتباع أهل البيت عليهم السلام في جميع أنحاء العالم، ويقيمون شعائر كبرىٰ تخليداً لذكرىٰ هذه الثورة المأساوية التي أراق فيها طغاة بني أمية دماء العترة الطاهرة لنبيّ الإسلام العظيم محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم في أرض كربلاء المقدسة.. فما هو الحق في ذلك؟

«التحرير»

عاشوراء، علىٰ وزن فاعولاء، مختومة بالألف الممدودة، وتصحّ بالألف المقصورة بلا همزة: عاشورىٰ[1] فهي صفة مؤنثة لليلة العاشرة من الشهر القمريّ العربيّ، وغلبت علىٰ الليلة العاشرة من أول الشهور القمرية العربية: محرم الحرام، ولذلك لا يوصف بها اليوم فلا يقال: اليوم العاشوراء، وانّما يقال: يوم عاشوراء بنحو الاضافة، بحذف الليلة، والتقدير: يوم ليلة عاشوراء، والموصوف ـ الليلة ـ محذوف.

ولا ريب في استعمال الكلمة واشتهارها في ليلة العاشر من محرم الحرام ذكرىٰ

(١) مجمع البحرين، مادة عشر.

www.noormags.com

سؤال وجواب

شهادة الإمام سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام. وقد نصّ اللغويّون علىٰ أنها «اسم اسلامي»[1] «لم يُعرف في الجاهلية»[2].

* * *

وعليه فكيف نفسّر ماجاء في الخبر:

١ـ عن عائشة قالت: كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية، وكان رسول الله يصومه في الجاهلية، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما فرُض رمضان ترك يوم عاشوراء، فمن شاء صامه ومن شاء تركه[3].

٢ـ عنها قالت: كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية، وكان النبيّ يصومه، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما نزل رمضان، كان رمضان الفريضة. وترك عاشوراء، فكان من شاء صامه ومن شاء لم يصمه[4].

وكأنّها علّلت صومهم فيه في خبر آخر:

٣ـ عنها قالت: كانوا يصومون عاشوراء قبل أن يفرض رمضان، وكان يوماً تُستر فيه الكعبة، فلما فرض الله رمضان قال رسول الله: من شاء أن يصومه فليصمه، ومن شاء أن يتركه فليتركه[5].

فكيف التوفيق بين هذا وبين مامرّ من نصوص اللغويّين علىٰ أنّ اسم عاشوراء اسم اسلامي لم يُعرف في الجاهلية؟ وإذا كانوا يصومونه لأنه كان يوماً تُستر فيه الكعبة، فلماذا أُضيف إلىٰ وصف الليلة «عاشوراء» كما مرّ؟ ولم تكن الكعبة تُستر في الليل طبعاً قطعاً. أم هل وصفوا اليوم المذكّر بصفة التأنيث؟ فالعجب من العرب كيف غاب عنهم هذا؟!.

والجاهلية هي عهد ما قبل الإسلام، فإذا كان النبيّ يصوم يوم عاشوراء في الجاهلية فلماذا تركه بعد الإسلام؟ فلو كان تركه لمخالفة المشركين فلماذا رجع إليه بعد الهجرة؟

هذا ماروي عن عائشة وتلك هي التساؤلات التي تفرض نفسها بلا جوابٍ شافٍ كافٍ.

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ٣: ٢٤٠.
(٢) الجمهرة في لغة العرب ٤: ٢١٢.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الصوم.
(٤) صحيح البخاري كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة.
(٥) صحيح البخاري، كتاب الحج، الباب ٤٧.

www.noormags.com

سؤال وجواب

* * *

وجاء في مجموعة ثانية:

١ـ عن ابن عباس قال: قدم النبيّ المدينة فرأىٰ اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: ماهذا؟ قالوا: هذا يوم صالح، يوم نجّىٰ الله بني إسرائيل من عدوّهم فصامه موسىٰ. قال: أنا أحق بموسىٰ منكم. فصامه وأمر بصيامه[١].

٢ـ عنه قال: أن النبيّ لما قدم المدينة وجدهم يصومون يوماً (يعني يوم عاشوراء) فقالوا: هذا يوم عظيم، وهو يوم نجّىٰ الله فيه موسىٰ وأغرق آل فرعون، فصام موسىٰ شاكراً للّه. فقال: أنا أولىٰ بموسىٰ منهم. فصامه وأمر بصيامه[٢].

٣ـ عنه قال: لما قدم النبيّ المدينة وجد اليهود يصومون عاشوراء فسُئلوا عن ذلك فقالوا: هذا هو اليوم الذي أظهر الله فيه موسىٰ وبني إسرائيل علىٰ فرعون، ونحن نصومه تعظيماً له. فقال رسول الله: ونحن أولىٰ بموسىٰ منكم. فأمر بصومه[٣].

٤ـ عنه قال: قدم النبيّ المدينة واليهود تصوم عاشوراء، فقالوا: هذا يوم ظهر فيه موسىٰ علىٰ فرعون. فقال النبيّ لأصحابه: أنتم أحق بموسىٰ منهم، فصوموا[٤].

٥ـ عنه قال: لما قدم رسول الله المدينة واليهود تصوم عاشوراء، فسألهم، فقالوا: هذا اليوم الذي ظهر فيه موسىٰ علىٰ فرعون. فقال النبيّ: نحن أولىٰ بموسىٰ منهم[٥].

٦ـ عن أبي موسىٰ الأشعري قال: دخل النبيّ المدينة وإذا أُناس من اليهود يعظّمون عاشوراء ويصومونه، فقال النبيّ: نحن أحق بصومه، فأمر بصومه[٦].

٧ـ عنه قال: كان يوم عاشوراء تعدّه اليهود عيداً، فقال النبيّ: فصوموه أنتم[٧].

هذا ماروي عن ابن عباس وأبي موسىٰ الأشعري من قِبل المسلمين، وليس فيه أن اليهود كانوا يسمّونه عاشوراء، فلعلّه كان صوم اليهود إذ ذاك موافقاً لليوم العاشر من المحرم. فما واقع الحال عند اليهود قديماً واليوم؟

* * *

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصوم: ٣٠. (٢) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء: ٦٠.
(٣) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، الباب ٥٢. (٤) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة يونس.
(٥) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة يونس. (٦) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، الباب ٥٢.
(٧) صحيح البخاري، كتاب الصوم: ٣٠.

www.noormags.com

سؤال وجواب

جاء في دوائر المعارف البريطانية بالإنجليزية والفرنسية والألمانية: أن احتفال اليهود بنجاة موسىٰ وبني إسرائيل يمتد سبعة أيام لا يوماً واحداً فقط.

أما صوم اليهود: فهو في اليوم العاشر، ولكنه ليس العاشر من المحرم، بل من شهرهم الأول: تشري، ويسمّونه يوم «كيپور» أي يوم «الكفّارة» وهو اليوم الذي تلقىٰ فيه الإسرائيليون اللوح الثاني من ألواح الشريعة العشرة، ولم يكن ذلك يوم نجاتهم من فرعون، بل بعد نجاتهم من فرعون، وميقات موسىٰ عليه السلام وابتلائهم بعبادة العجل إلهاً لهم، ورجوع موسىٰ من الميقات إليهم، وإعلان اشتراط قبول توبتهم بقتل بعضهم لبعض، وبحصولهم علىٰ العفو من رفقائهم. ولذلك فقد خُصّص اليوم قبل «كيپور» بتبادل العفو فيما بينهم، وخُصص يوم «كيپور» للصيام والصلاة والتأمل كأقدس أيام اليهود.

والتقويم اليهودي المستعمل اليوم عندهم شهوره قمرية، ولذلك فعدد أيام السنة في السنوات العادية ٣٥٥ أو ٣٥٤ أو ٣٥٣. ولكنهم جعلوا سنواتهم شمسية بشهور قمرية، ولذلك فلهم سنوات كبيسة، ففي كل سنةٍ كبيسة يضاف شهر بعد آذار الشهر السادس باسم آذار الثاني فيكون الشهر السابع، ويكون نيسان السابع الشهر الثامن، وعليه تكون أيام السنة الكبيسة ٣٨٥ أو ٣٨٤ أو ٣٨٣ يوماً[1].

* * *

هذا هو التقويم اليهودي المستعمل لديهم قديماً واليوم ولم يُنقل عنهم أيّ تقويم غيره. وتلك احتفالاتهم بنجاتهم من الفراعنة تمتد أسبوعاً لا يوماً واحداً فقط. وليس لهم فيه يوم صوم. ولهم يوم صوم هو يوم عيد «كيپورهم» العاشر من شهرهم الأول تشري، ولكنه يوم كفارتهم وقبول توبتهم وليس يوم نجاتهم من الفراعنة. ولا ننكر وقوع توافق بين تقويمين في زمان مّا، ولكنه قد يقع في سنة واحدة فقط بعد عشرات بل مئات السنين، وعلىٰ فرض وقوع توافق بين يوم «كيپور» العاشر من شهر تشري، وبين يوم عاشوراء العاشر من شهر محرام الحرام بعد تسعة أشهر من قدوم النبيّ إلىٰ المدينة، فلماذا لم يذكر يوم «كيپور» وإنما أُطلق عليه يوم عاشور؟ وما وجه إطلاق استحباب صوم يوم عاشور العربي الإسلامي عوضاً عن عيد «كيپور» العبري اليهودي، مع القول بأولوية

---

(١) دوائر المعارف البريطانية الانجليزية والفرنسية والألمانية.

www.noormags.com

سؤال وجواب

النبيّ والمسلمين من اليهود بموسىٰ عليه السلام، مع أن نجاته وإيّاهم لم تكن لا في عيد «كيپور» ولا في يوم عاشور؟!

* * *

ويلاحظ بخصوص خبري أبي موسىٰ الأشعري:

أنه في الأول يقول: «وإذا أُناس من اليهود يعظّمون عاشوراء ويصومونه، فقال النبيّ: نحن أحق بصومه. فأمر بصومه» بلا ذكر لوجه تعظيمهم ليوم عاشوراء وصومه، ولا ذكر لوجه أحقّية المسلمين بصومه.

وفي الثاني يقول: «كان يوم عاشوراء تعدّه اليهود عيداً. قال النبيّ: فصوموه أنتم» بلا ذكر لوجه كون يوم عاشوراء، عيداً عندهم، ولا ذكر لوجه أمره صلىٰ الله عليه وآله وسلم بصومه، وكأنّه يقابل بين الأمرين: بين صوم المسلمين فيه وعدّه اليهود عيداً، دون الأولوية.

ويلاحظ في الخبرين أمران آخران أيضاً:

الأول: قال في الأول: «وإذا أُناس من اليهود يعظّمون عاشوراء» وقال في الثاني: «كان يوم عاشوراء تعدّه اليهود عيداً» فعلّق وصف العيد وتعظيم اليهود علىٰ يوم عاشوراء، ولا وجه لذلك وقد مرّ نصّ اللغويين علىٰ أنه اسم إسلامي لم يُعرف في الجاهلية أي قبل الإسلام، وعليه فكيف عرف اليهود عاشوراء قبل الإسلام؟!.

الثاني: أنه قال في الثاني: «قال النبي: فصوموه أنتم» وقال في الأول: «فقال النبي: نحن أحق بصومه. فأمر بصومه» وجوباً أم استحباباً؟ وظاهر الأمر الوجوب كما قالوا: وعليه فيخلوا الخبر عن ذكر مدىٰ هذا الأمر إلىٰ متىٰ كان أو يكون؟ وكذلك تخلو منه أخبار ابن عباس.

وذكرت المدىٰ أخبار عائشة: «فلما فرض الله رمضان قال رسول الله: من شاء أن يصومه فليصمه، ومن شاء أن يتركه فليتركه».

وقد ذكروا بلا خلاف أنّ فرْض الله صيام شهر رمضان كان بنزول القرآن به لمنتصف السنة الثانية للهجرة، أي أنه لم يكن بين هجرته وبين نزول القرآن بفرض رمضان غير عاشوراء واحد، واذا كان قد أمر بصيامه مواساة لموسىٰ عليه السلام شكراً لنجاته علىٰ قول يهود المدينة له بعد هجرته جواباً عن سؤاله عن صومهم يوم عاشوراء، إذن فعاشوراء

www.noormags.com

سؤال وجواب

الأولى قد مضت ولم تأت الثانية ليصوموا يومها حتىٰ نزل القرآن بفرض رمضان، فما معنىٰ «كانوا يصومون عاشوراء قبل أن يُفرض رمضان»؟ وكذلك ماعن عائشة أيضاً قالت: كان عاشوراء يصام قبل رمضان، فلما نزل رمضان من شاء صام ومن شاء أفطر[1].

وعنها قالت: كان رسول الله أمر بصيام عاشوراء، فلما فرض رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر[2] وكأنه أمر بالصيام فقط ولم يصوموه.

* * *

وهناك خبر آخر عن حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية بن أبي سفيان علىٰ منبرٍ يوم عاشوراء عام حجٍّ يقول: ياأهل المدينة، أين علماؤكم؟! سمعت رسولَ الله يقول: هذا يوم عاشوراء، ولم يَكتب الله عليكم صيامه، وأنا صائم، فمن شاء فليصم ومن شاء فليفطر[3].

فهذا يتضمن تنكّراً لصيام قريش في الجاهلية، ولصيام اليهود كذلك، وينصّ من أول يوم علىٰ الندب والاستحباب دون الوجوب. ولكن يلاحظ عليه أمران:

الأول: أنه يتضمن اعترافاً بعدم علم علماء أهل المدينة بالحديث عن رسول الله!

الثاني: أفكان هذا قبل الهجرة؟ أم بعدها؟ أم بعد فتح مكة؟ فمتىٰ سمعه معاوية؟!

وإذا كان لليهود تقويم عبريّ يخصّهم يختلف تمام الاختلاف عن التاريخ العربي القمري، وإذا لم يكن يوم عاشوراء يوم نجاة موسىٰ **عليه السلام** وبني إسرائيل من فرعون، فلا يصحّ ما جاء في بعض كتب الحديث مما نسب إلىٰ رسول الله **صلىٰ الله عليه وآله وسلم** من أخبار في عاشوراء تتضمن أنه يوم نجاة موسىٰ وبني إسرائيل من الفراعنة فهو يوم عيد الخلاص، وإلىٰ جانبه ذكريات أُخرىٰ منها: أنه يوم خلق الأرض والجنة وآدم **عليه السلام** فهو عيد الخلق، وهو يوم نجاة نوح من الغرق، ونجاة إبراهيم من الحرق..

هذا، وقد روىٰ الشيخ الفقيه أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسىٰ بن بابويه القمي، بسنده عن نصر بن مزاحم المنقري (م ٢١٢ هـ) عن عمر بن سعد، عن أرطاة بن حبيب، عن فضيل الرسّان، عن جبلة المكية قالت: سمعت ميثم التّمار يقول: «والله لتقتلنّ هذه الأمة ابن نبيّها في المحرم لعشر مضين منه، وليتخذّن أعداء الله ذلك اليوم يوم بركة، وإنّ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة. (٢) صحيح البخاري، كتاب الصوم: ٣٠.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الصوم: ٣٠.

www.noormags.com

سؤال وجواب

ذلك لكائن قد سبق في علم الله تعالىٰ ذكره، أعلم بذلك بعهد عهده إليّ مولاي أمير المؤمنين صلوات الله عليه.

قالت جبلة: فقلت: يا ميثم، وكيف يتخّذ الناس ذلك اليوم الذي يُقتل فيه الحسين بن علي عليه السلام يوم بركة؟!

فبكىٰ ميثم، ثم قال: سيزعمون ـ بحديث يضعونه ـ أنه: اليوم الذي تاب الله فيه علىٰ آدم عليه السلام. وإنما تاب الله علىٰ آدم في ذي الحجة. ويزعمون أنه اليوم الذي استوت فيه سفينة نوح علىٰ الجودي. وإنما استوت علىٰ الجوديّ يوم الثامن عشر من ذي الحجة.

ويزعمون أنه اليوم الذي فلق الله فيه البحر لبني إسرائيل. وإنما كان ذلك في شهر ربيع الأول[1].

ويزعمون أنه اليوم الذي قبل الله فيه توبة داود. وإنما قبل الله توبته في ذي الحجة.

ويزعمون أنه اليوم الذي أخرج الله فيه يونس من بطن الحوت. وإنما أخرجه الله من بطن الحوت في ذي القعدة.

ثم قال ميثم: ياجبلة، إذا نظرت إلىٰ الشمس حمراء كأنها دم عبيط فاعلمي أنّ سيدك الحسين قد قتل[2].

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

* * *

ثم إن أخبار ابن عباس وأبي موسىٰ الأشعري دلّت علىٰ: أن رسول الله سأل اليهود عن صومهم ذلك اليوم ثم قال: أنا ـ أو ـ نحن أحق ـ أو ـ أولىٰ منكم ـ أو ـ منهم، فصامه وأمر بصيامه. وليس فيها أنه أفاد من وحي الله أو من علمه الإلٰهي، أي أنه اعتمد علىٰ ما قاله اليهود هنا، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿ولكم في رسول الله أسوة حسنة﴾[3] فهنا سؤالان:

أولاً: هل يجوّز الفقهاء أن نتأسّىٰ برسول الله ـ علىٰ زعم هذه الأخبار ـ فنعتمد علىٰ نُقول أهل الكتاب اليهود والنصارىٰ والمجوس عن أنبيائهم؟!

ثانياً: إن نصوص هذه الأخبار تعلّل صوم الرسول وأمره بصوم ذلك اليوم بأننا أحق أو

---

(١) وهذا يتفق مع ظاهر أخبار ابن عباس وأبي موسىٰ الأشعري في أنه صلىٰ الله عليه وآله وسلم لما قدم المدينة ـ وقدمها في ربيع الأول بلا خلاف ـ رأىٰ اليهود يصومون اليوم ويقولن إنه يوم نجاة موسىٰ وبني اسرائيل من فرعون والغرق. لا يوم عاشوراء. (٢) أمالي الشيخ الصدوق: ١١٠ ط بيروت.

(٣) الاحزاب: ٢١.

 www.noormags.com

سؤال وجواب

أولىٰ من اليهود بموسىٰ عليه السلام، فهو حكمٌ منصوص العلّة كما يقول الفقهاء، وقياس الحكم المنصوص علىٰ علته يجوّزه حتىٰ من لا يجوّز سائر أقسام القياس.. فهل يجوز لنا أن نأخذ بقياس هذه العلّة المنصوصة هنا فنقول: كل ما كان في الشرائع السابقة فنحن أحق أو أولىٰ به، فنفعله؟! وإلاّ، فما وجه الفرق؟

* * *

نعم، في سبيل إطفاء شعلة عاشوراء، ودفن قضية كربلاء، لجأوا إلىٰ اختلاق أخبار جعلوها أحاديث ونسبوها إلىٰ جدّ الحسين عليهم السلام، ولكنّ عدم التنسيق في وسائل الإعلام لهؤلاء الحكّام جعلها متخالفة متضاربة كما تبيّن أعلاه.

أجل، أتوا بهذه الأخبار العظيمة والكثيرة العدد بُغية دفن قضية كربلاء، قضية ماأعظمها وأعظم خطرها علىٰ الإسلام؛ ولكن فشلوا، وبقيت قضية كربلاء علىٰ ماهي عليه، استحلال دم الحسين بن علي عليهما السلام.

وقد أصاب الشريف الرضيّ رضي الله عنه في وصف هذا الأمر إذ قال:

كانت مآتم بالعراق تعدّها ... أُموية بالشام من أعيادها
جعلت رسولَ الله من خصمائها ... فلبئس ماادّخرت ليوم معادها
نسل النبيّ علىٰ صِعاب مَطيّها ... ودم النبيّ علىٰ رؤوس صِعادها[1]

بل قال غير المعترف بإمامة الحسين عليه السلام، أبو العلاء المعرّي:

وعلىٰ الأُفق من دماء الشهيد ... ين عليٍّ ونجله شاهدانِ
فهما في أواخر الليل فجرا ... نِ وفي أُولياته شفقانِ
ثبتا في قميصه ليجيئا الحشر ... مستعدياً إلىٰ الرحمان
بابن مستعرض الصفوف ببدر ... ومبيد الأحزاب من غطفانِ

(١) ديوان الشريف الرضي، حرف الدال، والدر النضيد، كذلك أيضاً.

www.noormags.com